يسرد الرحالة والمغامر خالد العنقودي ذكريات رحلته الطويلة التي عبرها على خطى الأسلاف من عمان إلى أدغال إفريقيا، خلال الفترة ١٦ نوفمبر إلى ٢٥ ديسمبر ٢٠١٦م، مرورا بالخليج وشواطئه وموانئه إلى الصحاري والهضاب والغابات والقرى النائية في العمق الإفريقي، رحلة لا تخلو من المتعة ولا تنقصها المغامرة، كان فيها بمعية رفاقه من أعضاء فريق المغامرين (تيم أدفينشر)، وهم كل من سعود الغافري وسليمان الغافري وفريد المحروقي وسامي الهاشمي وعلي الجفيلي وسلطان النعماني وخالد العنقودي.

ذهب رحالا مغامرا وعاد بالبهجة

خالد العنقودي..
على خطى الأسلاف في أدغال إفريقيا

(التكوين) التقت بخالد العنقودي الذي استرجع الأحداث وفتح ذاكرته ليروي تفاصيل هذه الرحلة مستذكرا الوجوه والأماكن واللحظات التي قضاها ذهابا وإيابا إلى أرض الوطن.

يقول خالد العنقودي: هذه الرحلة من أكثر رحلاتي تميزا كونها اخترقت أشهر المدن والقرى الإفريقية، وكان ذلك عن طريق البر، وهي المناطق التي تمتد من السودان إلى تنزانيا. أثناء قيامي بهذه الرحلة لم أكن مجرد زائر عابر فقط تبهره الأشياء ويخطفه بريقها، وإنما أتيتها رحالا ومغامرا وسأعود منها بالبهجة والفرح، لأروي قصة المكان والإنسان والحياة.

ويتحدث خالد العنقودي عن بداية الرحلة والبلدان التي مر بها قائلا: بدأت رحلتي من مسقط متوجها إلى الإمارات العربية المتحدة ثم المملكة العربية السعودية مرورا بالبحر الأحمر إلى أن وصلت السودان، ثم العبور إلى الأراضي الأثيوبية، مخترقا بعد ذلك الأراضي الكينية والأوغندية، قبل أن أحط رحالي في رواندا، ثم المواصلة باتجاه الأراضي البروندية والتنزانية. في السودان مررنا على أراض قاحلة إلى أن ولجنا الأراضي الأثيوبية والأوغندية والكينية والرواندية والتنزانية، حيث بدأت تهب

نسمات الصبا كانها البلسم الشافي قادمة من ثنايا هذه الجبال والغابات الخضراء في مكان، حيث ترسل الشمس أشعتها المتلألئة في هذه الطبيعة البكر الغناء.

ويستذكر خالد العنقودي مشهد وصوله إلى ميناء جدة قائلا: من ميناء جدة السعودي انتقلت بعبارة بحرية إلى السودان عن طريق البحر الأحمر، ورأيت أهلها يعتمرون القبعة السودانية مع لباس أبيض فضفاض قريب من الجلباب مع سروال طويل، وغالبيتهم طوال القامة. وعبر الأراضي القاحلة في صحاريهم رأيتهم ينقلون المياه من مسافة بعيدة على ظهور الدواب، وهناك نصبت مخيمي في منطقة دلاي وهي بعد (كسلا).

ويستطر العنقودي: في الصباح الباكر غادرت بعدما التف حول المخيم جمع غفير من أهل المنطقة، بعد أن وزعت على بعض الصبية الحلويات والأدوات المدرسية وأعلام السلطنة، ثم غادرت متجها إلى جداريا ومنها أخذت طريقي إلى الحدود الأثيوبية عبر منطقة المتمة الحدودية، حيث أقمت ليلة واحدة في فضاء طبيعتها الخلابة التي تأسر الألباب.

ويواصل خالد العنقودي تقليب أوراق الرحلة قائلا: وهنا بدأت الرحلة تسير في ظروف صعبة، نظرا لاستخدام هذا الطريق من البشر والحيوانات أيضا، كالأبقار والماشية، ما جعل السير يمضي ببطء. وعند الصباح الباكر ارتحلت باتجاه بحر دار حيث مصب نهر النيل الأبيض مرورا بمنطقة جوندر الأثيوبية، استغرقت هذه الرحلة مدة يومين وصلت إلى الحدود الكينية، وأقمت هناك في غابة تيماو وهي تبعد عن نيروبي ٣٥٠كم.

ويتحدث خالد العنقودي عن لقائه ببعض العمانيين في هذه الرحلة قائلا: في منطقة مويالي الحدودية الكينية مع أوغندا التقيت ببعض العمانيين من قبيلة الشكيلي والحسني، ومنها واصلت المسير إلى أن بلغت عمق الأراضي الأوغندية، حيث اقتفيت أثر العمانيين، وقد علمت أن أول من وصلها من العمانيين شخص يدعى أحمد المعمري، ثم تابعت الرحلة إلى أن وصلت (بوجيري) والتقيت هناك بجماعة من السناويين والمحاريز وهم من قبيلة المحرزي من شرقية عمان، وتعود أصولهم في اعتقادي إلى المناطق المحاذية لإبراء وما جاورها. ومن هناك واصلت الطريق إلى أن وصلت منطقة (انجانجا) التي يقطنها جماعة من الحرث، وكان غداؤنا بمنزل محمد الحارثي، وهو يتردد بين عمان وأوغندا، ومنها زرت بعض الأسر العمانية المقيمة في العاصمة كمبالا مارا على بحيرة فكتوريا في أفريقيا. وعند دخول الأراضي الرواندية التقيت بكثير من قبائل العمانيين كالحرث والطوقيين والعيسريين والزكوانيين، واطلعت على كثير من ممتلكاتهم منذ أن وصلوا إليها عام ١٩٢٠.

ونمضي مع خالد العنقودي خلال عبوره الحدود الرواندية في طريقه باتجاه الحدود التنزانية إلى أن بلغ منطقة كبانجا، يقول العنقودي التقيت بكثير من العمانيين وهم من الجوابر والصبحيين والمحاريق والرواشد وترجع أصولهم إلى ولاية أدم والرواشد من سناو، وهم يعيشون على التجارة ويصدّرون القهوة إلى بعض البلدان، وهم ليسوا ببعيد عن الحدود الرواندية، ناهيكم عن البر التنزاني الذي استقر به كثير من أهالي شرقية عمان، بالإضافة إلى أرخبيل زنجبار الذي يقيم به كثير من عرب عمان كالبوسعيد والمناذرة وبني رواح والبلوش واللمكيين والبطاش والصوافيين والتوبيين.

ويختتم خالد العنقودي حديثه قائلا: لعمري لقد مررت على مناطق زاهية بالاخضرار من تلال وهضاب وجبال وأمكنة قلما يصلها ويمر عليها السائح العادي، نظرا لبعدها آلاف الأميال عن المدن، قمت برصد حياة هذه المجتمعات من خلال توثيق هذه الرحلة توثيقا كاملا، حتى لا تفوتني أي شاردة أو واردة، وكي لا تغيب عن ذاكرتي وتصبح في طي النسيان، إذ لا يمكن للرحالة والمغامر أن تمر عليه هذه الرحلة مرور السائح المتفرج.